الفصـــل الخامس

منهجية تحقيق الذات المستعينة بالتعلم الذاتي في تدريس التعبير

- مفهوم تحقيق الذات .
- مفهوم الذاتية .
- مفهوم التعلم الذاتي .
- الحاجة إلى التعلم الذاتي وأهميته .
- مبررات استخدام التعلم الذاتي .
- أهداف التعلم الذاتي .
- الأسس النفسية والتربوية للتعلم الذاتي . أهمها :
  - أولاً : الإرادة والسلوك الإرادي الواعي
  - ثانياً : استثارة النضج
  - ثالثاً : الدافعية
  - رابعاً : مبدأ الفروق الفردية .
  - خامساً : النشاط المعرفي وتقنينه
  - سادساً : الإصلاح الاجتماعي
- خطوات التعلم الذاتي في تدريس التعبير الكتابي .
- مقارنة توضيحية بين الطريقة التقليدية وأسلوب التعلم الذاتى فى تدريس التعبير الكتابي .
- خاتمة .

obeikandl.com

الفصـــل الخامس

منهجية تحقيق الذات المستعينة بالتعلم الذاتي في تدريس التعبير

لما كان التعلم الذاتي ذا فعالية في التعلم ، فإن الباحث يهدف من خلال هذا الفصل – الذي يعد بيت القصيد ومحور الدراسة الراهنة – إلى بيان مفهومي تحقيق الذات ، والتعلـــم الذاتـــي للوصول إلى معرفة طبيعة وخصائص المتعلم ذاتياً ليتم التعامل معها ، واتخاذ التعلـــم الذاتـــي طريقة في تعليم التعبير الكتابي للمتعلم . كما يهدف إلى بيان مبررات استخدام التعلـــم الذاتـــي وأهميته وأهدافه والأسس التي يقوم عليها في مجال التعلم باعتباره سلوكاً إرادياً مقنناً يختلف عن الطريقة التقليدية السائدة حالياً في تعليم التعبير .

مفهوم تحقيق الذات :

إن تحقيق الذات مطلب أساسي للإنسان الصالح . فالإنسان مخلوق كريم على الله ، حيـث خصه ليكون خليفته في الأرض . ولا شك أن هناك ارتباطًا قويًا بين تحقيق الإنسان لذاته وبيـن قيامه بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله . فإذا كان حسن أداء الإنسان لرسالته فـــي واقـــع الحياة ، مع الاتجاه إلى الله بكل فكر أو عمل أو سلوك ، يمثل جوهر الخلافة التي كرمه الله بها، فإنه – أيضًا – يعتبر الطريق الصحيح الوحيد لتحقيق الإنسان لذاته .

وقد ظهرت أفكار مثل "تحقيق الذات" و "الإحساس بالذات" و "العلاج النفســـي المتمركـــز حول المفحوص" في أعمال كثير من المعالجين النفسيين ، وعلماء النفس وخاصة عالم النفـــس المشهور (كارل روجرز) ، الذي بدأ من مفهوم العلاج النفسي المتمركز حول المفحوص إلـــى تجريب أسلوب التدريس غير المباشر مستعملاً نفس مبادئ تحقيق الذات . فهو يرى أنه إذا كـان من الممكن في مجال العلاج النفسي أن نعتمد على مقدرة المفحوص في التعامل مـــع مواقـــف حياته بإيجابية ، وإذا كان هدف المعالج في أحسن حالاته لا يتعدى إطلاق تلك المقدرة ، فلمـــاذا إذن لا نطبق مثل هذا الفرض ، ومثل هذه الطريقة فى التدريس؟ وإذا كان توفير جو من القبـول والفهم والاحترام مهمًا لتسهيل عملية التعلم التي نسميها (العلاج) فلماذا لا تكون هذه المبادئ هي أساس تلك العملية التي نسميها (التعليم)؟ .

ويتمثل المبدأ الذي تستند عليه هذه الطريقة في كون مسئولية المعلم هي تشـــجيع مقـــدرة الطالب ومساعدته في توجيه ذاته وتحقيقها على السواء ، وأن المتعلمين إذا توافرت لهم ظروف

حقيقية ، فإنهم يصدرون عن رغبة صادقة للنمو ، والعمل المتقن ، والبحث عن الذات والتعبير عنها بإبداع وابتكار وتفرد [١] .

ويعبر روجرز عن ذلك بقوله : "عندما تواجه الفرد أو المجموعة مشكلة ، وعندما يوفر القائد جوًا مفتوحًا ، وعندما تناط المسئولية بالفرد أو المجموعة فإنه في هذه الحالة يمكن القيام بتحليل كفء للمشكلة ، وأنه فى هذه الحالة أيضًا يتحقق توجيه الذات والإبداع والإنتاجية ، وتكون نوعية الناتج أسمى بكثير من نتائج الطرق الأخرى المشابهة . كما أنه في هذه الحالة يحدث تنمية لمعنويات الفرد والجماعة وثقتهم بأنفسهم" [٢] .

وقد ظهر صدى لمبادئ روجرز هذه عندما أصدرت اليونسكو تقريرًا عن المبادئ التعليمية المرغوب فيها تحت عنوان "تعلم لتكون" Learning to be والذى أعد من قِبل اللجنة الدولية لتطوير التعليم . وقد أوصت اللجنة بضرورة تمركز الأنشطة التعليمية حول المتعلم من أجل مساعدته على اكتساب مزيد من الحرية التي يقرر بها لنفسه ما يريد أن يتعلم ، وكيف وأين يتعلم؟ [٣] .

ومن نفس النبع الذي صدر عنه روجرز ، وهو تيار المدرسة الإنسانية في علم النفس ، تأتى كتابات (إبراهام ماسلو) صاحب تعبير "تحقيق الذات" Self-actualization ويعد "تحقيق الذات" عند ماسلو درجة عالية من الإنسانية ، كما كان تعبير "التحرر" عند (باولو فرير) يعني توفير الصفة الإنسانية . إلا أن ماسلو لا يؤكد على التغلب على الحرمان الخارجي ، ولكن على توسيع مجال الذات بما في ذلك من إطلاق لسراح القوى الداخلية النازعة إلى الخير ، والرامية إلى مزيد من فهم الحياة والأحياء .

ويقترح ماسلو أن الحياة الأمثل ممكنة عندما يستطيع الناس إدراك ذاتياتهم بأسلوب جيد ، سواء كانت ذاتياتهم الخاصة النفسية ، أو ذاتياتهم العامة الاجتماعية . فلا شك أن النمو الداخلي للأفراد يشجع على الاكتشاف والتجريب والعمل الإيجابي . وعلى ذلك فإن العمل الإيجابي يعتبر تعبيرًا عن إيجابية الإدراك والمشاعر معًا . ومن هذا المنطق يصبح سلوكًا تعبيريًا إبداعيًا ، وليس مجرد سلوك تكيفي [٤] .

---

(١) علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣-٢٧٤ ، ٢٧٩-٢٨٠ .

(2) Rogers, C. Client Centred Therapy, Boston Houghton, Miffline, 1965, pp 63-64.

(3) Faure, E., et al: Learning to be, Paris, Unesco, 1971, p 200.

(٤) علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

openkandil.com

مفهوم الذاتية :

يقصد بالذاتية هوية الذات في إطارها الفردي والتي بها يتميز الإنسان عن غيره من بني جنسه ، وقد عبر عنها القرآن بلفظة (النفس) في مواضع متعددة تحمل هذا المعنى الخاص . فلكل إنسان ذات مستقلة به ، وهو - دون غيره - أعلم بأمرها فيقول الله تعالى : "بل الإنسانُ علَى نفْسهِ بصيرةٌ" ويقول تعالى أيضًا : "علَيْكُم أنفسَكُم" ، أى الزموا أنفسكم وليشتغل كل منكم بذاته .

وللنفس معانٍ مختلفة ، وقد يقصد بها في سياقات متباينة ما نسميه النفس أو العقل أو القلب أو الروح ، فإن النفس نفس باعتبار أنها نفس الشيء وذاته ، وعقل باعتبار إدراكها ، وقلب باعتبار انقلابها من شيءإلى شيء، وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها وتستلذ به ، وعلى المعاني الأخرى لهن حقيقى [١] . وهذه المعاني يحملها مفهوم الذات في المصطلح الإنجليزى الخاص بها Self-Conception ، فهذا العنصر الجوهري (الذات أو النفس أو الأنا) هو الذي يعي ويلخص ما حوله ويقرر ويوجه أفعال الفرد ، ويكيف سلوكه تبعًا لإدراكه وإرادته [٢] .

والإنسان بذاتيته - كما يقول ابن خلدون - (ابن عوائده) أي ثمرة تربيته في وسطه الطبيعي والاجتماعى [٣] . فهو ابن عوائده وليس فقط ابن نسبه . وهذا ما يتفق - إلى حد كبير- مع غالبية الآراء التربوية المعاصرة التي يعتقد في صحتها المربون والاجتماعيون والسيكولوجيون . فكارل ماركس يرى أن (الإنسان ابن بيئته) ، وأتاوى يقرر أن الطفل (الفرد) يأتي إلى العالم مزودًا بصفات وعوامل بنيوية طبيعية أو موروثة ، ويتوقف نمو الفرد في شخصيته جزئيًا على هذه العوامل الطبيعية ، وجزئيًا على البيئة بكل مؤثراتها . وتنمو ذاتيته في جماعها الفيزيقي والعقلي والعاطفي والروحي بالمعايشة أو الحياة [٤] .

ومن هنا أتوقف عند رأي كل من ابن خلدون ، وماركس ، وأتاوى فيما ذهبوا إليه بأن الإنسان ابن بيئته والعوامل الطبيعية ، وأقول : إن ذاتية الإنسان لا يتحقق تشكيلها ونموها وتطورها إلا بتطويع وإخضاع البيئة والعوامل الطبيعية لها ، لا هي التي تطوع الذات وتشكلها ،

---

(١) محمد بن فاضل بن مامين ، نعت البدايات وتوصيف النهايات ، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، ص ٥٢ .

(٢) محمود قمبر ، ذاتية الطفل والنظرية التربوية في الإسلام ، (المجلة العربية للتربية - من أجل تربية عربية موحدة) ، مجلة نصف سنوية ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٩٨-٩٩ .

(٣) ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٣٨٤ .

(٤) محمود قمبر ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

وإلا فقد الإنسان ذاته وهيمنته على قهر البيئة والعوامل الطبيعية له وصار كالكائن غير الناطق (الحيوان) . وعجز عن القيام بدور الخلافة في الأرض . وهذا لا يتأتى إلا بإرادته الذاتية لأنه سيد الكون المميز بين الكائنات الأخرى . ومن ثم فالإنسان ليس ابن بيئته والعوامل الطبيعية ، وإنما هو ابن إرادته الذاتية لأنه حر ، وكونه حرًا لأنه مسير ومخير ، فمسير من قِبل الله تعالى لا من قِبل البيئة والعوامل الطبيعية . ومخير بإرادته الحرة ، فكم من شخصية لم تستكن وتستسلم لظروف بيئتها والعوامل الطبيعية ، بل تمكنت من إثبات تفرد ذاتيتها بإرادتها،من هذه الشخصيات : العقاد ، وطه حسين وغيرهما كثير ، مما يدل على دور الإرادة في تشكيل ونمو وتفرد ذاتية الإنسان . إذن فالإنسان هو ابن إرادته لا ابن بيئته ، لذا يجب على التربويين بشتى تخصصاتهم ، وعلى المؤسسات التعليمية أخذ ذلك في الاعتبار في أي مسلك يسلكونه للفرد المتعلم ، وأن يدركوا أن للمتعلم إرادة تخييرية ميزه الله بها يجب أن تحترم وتستثمر على أفضل وجه في حدود إمكاناته وقدراته الخاصة، وأن يُنتقى له الأسلوب التعليمي الذي يتلاءم وطبيعته . فالمطلوب من التعبير هنا الإسهام في تربية الشخصية الحرة الواعية ، ذات الإرادة القوية القادرة على تطوير البيئة المحيطة وإعمارها بما ينفع الناس ويرقى بالحياة والأحياء .

مفهوم التعلم الذاتي :

قد تعددت تعريفات التعلم الذاتي ، تبعاً لتعدد المدارس التربوية والسيكولوجية وخبرات وتجارب الباحثين في هذا المجال . ولعل مما يؤيد ذلك وجود مجموعة من المسميات يستخدم كل منها في الإشارة إلى التعلم الذاتي Self-directed learning،وهي : [١]

١- التعلم المخطط ذاتيًا Self-Planned Learning

٢- التدريس الذاتي Self-Teaching

---

(1) Look at:

A : Knowles, M. S. : Self-Directed learning (A Guide for learners and teachers). Association Press. Chicago. 1975. P. 18.

B: GuGlielino, L. M. : Development of the self-directed learning radiness scale (Doctoral Dissertation University of Georgia, 1977- Dissertation Abstracts International, 1978- p 6- 7.

C: Mourad: S. A: Relation of Grade Level, Sex and Creativity to Readiness for Self-Directed Learning Among Intellectually Gifted Students. (Doctoral Dissertation, University of Georgia, 1979) Dissertation Abstracts International. 1979- p. 12.

د - ممدوح عبد المنعم الكناني ، التنبؤ بقابلية الفرد للتعلم الذاتي من خلال عدد من سماته الشخصية ، بحوث نفسية وتربوية ، المنصورة : مكتبة النهضة ، ١٩٨٤ ، ص ٨ .

٣- الدراسة الذاتية	Self-Study
٤- أسلوب البحث والتقصي	Inquiry method
٥- التربية الذاتية	Self-education
٦- التعلم المستقل	Independent Learning
٧- التعليم الذاتي	Self-Instruction
٨- التعلم الاستقلالي	Autonomous Learning

وهذه المسميات أدت إلى تنوع تعريفاته . وهذه التعريفات متفاوتة فيما بينها ولكن هذا التفاوت ليس تفاوتًا عكسيًا ، وإنما متآذر ومتكامل . فمن هذه التعريفات مجموعة أولى : تركز على التعلم الذاتي كطريقة للتدريس . وثانية : تركز على وسائطه . وثالثة : تركز على خصائص متعلميه . وأخرى : تركز على طبيعته ، ووظيفته للمتعلم . وفيما يلي يمكن تناول أهمها كلًا على حدة على هذا النحو ، منتهيًا إلى تعريف محدد يتلاءم وطبيعة الدراسة الراهنة :

أولًا - مجموعة تركز على التعلم الذاتي كطريقة تدريس :

يعرف جروبر Gruber [١] الدراسة المستقلة بأنها : طريقة التدريس التي تتضمن مشروعات فردية ، وتكون فيها العلاقة بين الطالب والمعلم علاقة شخصية One-One relationship.ويعرف نولز Knowles [٢] التعلم الذاتي بأنه : العملية التي تتيح للمتعلم المبادأة - بمساعدة أو بدون مساعدة الآخرين - في تشخيص حاجته للتعلم ، وصياغة أهدافه التعليمية ، وتحديد مصادر التعلم سواء أكانت أشخاصًا أم أدوات أم موادًا ، ووضع خطة تعليمية مناسبة ، وتقويم ناتج تعلمه .

ويعرف بيج وتوماس Page & Thomas [٣] التعلم الذاتي بأنه : التعلم الذي يتم باختيار المتعلم نفسه . ويرى صلاح مراد ومحمد مصطفى[٤] أن التعلم الذاتي يعني استخدام المتعلم

---

(1) Gruber: H-E. : The Future of Self-Directed Study in W. Hatch & A. L. Richards (EDS), Approach to Independent Study. Dc:U.S.A.Government Printing office, Washington, 1965-p. 1-2.

(2) Knowles, M-S. : Op. Cit., P 18.

(3) Page, G. T. & Thomas, J.B. & Marshall, A.R.: International Dictionary of Education. Koganpage,London, 1977-P. 306.

(٤) صلاح أحمد مراد ومحمد محمود مصطفى ، مقياس الاتجاه نحو التعلم الذاتي ، كراسة تعليمات ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢، ص ٥ .

لمهاراته وقدراته في إنجاز عملية التعلم بنفسه دون مساعدة من الآخرين ، أما إذا رغب في المساعدة فيبحث عنها بنفسه عند المتخصصين .

ويعرف ممدوح الكناني [١] التعلم الذاتي بأنه : الأسلوب الذي يقوم فيه المتعلم بالمرور بنفسه على المواقف التعليمية المختلفة ، لاكتساب المعلومات والمهارات ، بحيث ينتقل زمام العملية التعليمية من المعلم إلى المتعلم .

ثانيًا – مجموعة تركز على وسائط التعلم الذاتي :

يذكر طلعت منصور [٢] أن الموسوعة التربوية السوفيتية تعرف التعلم الذاتي بأنه : "ما يكتسبه الفرد خارج المؤسسات التعليمية عن طريق العمل الاستقلالي . ويتمثل الوسيط الأساسي للتعلم الذاتي في الدراسة المستقلة لما يكتب في مجالات العلم والفن والأدب والسياسة وغير ذلك. ومصادر التعلم الذاتي هي : الصحف ، والمكتبات ، والمجلات ، والإذاعة ، والتليفزيون ، والمعارض ، والمتاحف ، والمسرح ، والسينما ، ومخالطة أشخاص على درجة طيبة من التعليم، واللجوء إلى الثقاة في ميدان المعرفة والخبرة ، وحضور محاضرات وندوات ولقاءات وغير ذلك" .

ويعرف عزيز حنا [٣] التعلم الذاتي بأنه : العملية الإجرائية المقصودة التي يحاول فيها المتعلم مستخدمًا أو مستفيدًا من التطبيقات التكنولوجية ، المتمثلة في الكتب المبرمجة والرسائل وآلات التعليم والتقنيات المختلفة كالإذاعة والتليفزيون والمسجلات .

ثالثًا – مجموعة تركز على خصائص المتعلمين ذوي المستويات الفردية :

يحدد شكرنج Chickering [٤] خصائص المتعلم ذي المستويات الفردية في خمسة عوامل على النحو الآتي :

---

(١) ممدوح عبد المنعم الكناني ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢) طلعت منصور ، التعلم الذاتي وارتقاء الشخصية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ ، ص ٢٩ .

(٣) عزيز حنا داوود ، دراسات وقراءات نفسية وتربوية ، ج٢ ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ ، ص ٦٧ .

(4) Chickering, A.W: Op. Cit., P. 314.

١- الاعتماد المتبادل Exchange dependence :

ويعني أن ينسجم المتعلم مع الجماعة ، وألا يكـــون عدوانيـًا أو عقابيـًا ، وأن يعـــرف مسئوليات نفسه ويتحمل تلك المسئوليات ، ويرتبط بالآخرين دون الاعتماد عليهم فـــي تكويـــن ذاتيته .

٢- المغامرة Adventure :

وتعني أن تكون لديه القدرة على مواجهة وتحدي الأسئلة والمشكلات ، وأن يكون منفتحـًا للخبرة ، مبادئًا ، قادرًا على الاختلاف في الرأي والفكر .

٣- سعة الحيلة Resourceful :

وتعني معرفة استخدامه لمصادر التعلم ، ومتى يحتاج للمساعدة ، وتعمقـــه فـــي المـــادة العلمية، وقدرته على التنظيم الدقيق .

٤- المثابرة Patience :

وتعني أنه يثابر ليحتل مكانة متميزة بين أترابه ، لديه دافع قوي ودائم في إنجاز العمل من أجل إرضاء ذاته ، لديه الثقة الواضحة بالنفس .

٥- التفكير التأملي Contemplative Thinking :

ويعني أنه مدرك لما هو مهم ، يعرف نقاط قوته وضعفه ، مكتشـــف لحقـــائق جديـــدة ، ومعبر عن تأملاته وتفكيره ، مرن بالنسبة للأدلة والبراهين الجديدة .

ويعرف مراد وتورانس Mourad & Torrance [١] المتعلم ذاتيًا بأنه : المدرك لما هـو مناسب ومهم ، والقادر على حل المشكلات ، والواعي بمصادر المعلومات والحقائق ، المســتفيد منها . لديه المهارة في اتباع التعليمات والقواعد بمرونة ، مستقل في تفكيره ، متقبل مســـئولية التعلم ، تنازعه غريزة حب الاستطلاع والمبادأة في إنجاز الأعمال بالمثابرة ، واثق بنفسه .

ويذكر حمدي الفرماوي [٢] أن (نولز) قد حدد خصائص المتعلم ذاتيًا بأنه : القادر علـــى تحديد حاجاته للتعلم ، والعارف بمصادر المعرفة والمعلومات المرتبطة بموضوع دراسته مـــهما كان نوعها ثم لديه القدرة على وضع خطة للنشاط التعليمي .

---

(1) Mourd, S.A & Torrance. E. P.: Construct Validity of the self-di rected learning readiness scale. Journal for the education of the Gifted, 1979- p. 54.

(٢) حمدي علي الفرماوي ، الدافع المعرفي وعلاقته بالاتجاه نحو التعلم الذاتي عند طلاب المرحلة الثانويـــة ، (دراسات تربوية) ، سلسلة أبحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة ، المجلـــد الثـــالث ، الجزء الثاني عشر ، القاهرة : عالم الكتب ، مايو ١٩٨٨ ، ص ١٨٣ .

obeikandl.com

وتعرف نادية شريف [١] المتعلم ذاتيًا بأنه : ليس هو مجرد مستقبل للمعلومات ، وإنما مشارك وجامع لهذه المعلومات والمعارف التي تتسم بتنوعها وتعدد مصادرها (قراءة الكتب والمقالات - أو إجراء التجارب - أو الاستماع إلى ا لتسجيلات العلمية - أو مشاهدة الأفلام - أو الاستماع إلى محاضرة جامعية - أو الاشتراك في أعمال جماعية مع عدد من الأقران) .

رابعًا - مجموعة تركز على طبيعة التعلم الذاتي ووظيفته للمتعلم :

يذكر طلعت منصور [٢] أن (كفاليف ١٩٥٨) قد عرّف التعلم الذاتي - من حيث طبيعته ووظيفته - بأنه : العمل الواعي المنظم الذي يقوم به المتعلم ساعيًا من وراء ذلك إلى تغيير نفسه . لتحسين بعض خصاله الشخصية ، أو تكوين خصال جديدة تدفعه إلى القيام بنشاط فعال مثمر في حاضره ومستقبله .

أما طلعت منصور فيعرّف التعلم الذاتي بأنه : النشاط الواعي المنظم للمتعلم الذي يستمد حركته من الانبعاث الذاتي ، والاقتناع الداخلي . بهدف تغيير لشخصيته نحو مستويات أفضل من النماء والارتقاء .

تعريف الباحث للتعلم الذاتي :

يحدد الباحث الحالي ماهية التعلم الذاتي - من خلال التعريفات السابقة ، وفي ضوء الدراسة الراهنة - بأنه : النشاط الواعي المنظم الذي يكون فيه المتعلم قادرًا على تحمل مسئوليات التعلم ، مثابرًا في إنجاز الأعمال ، حرًا في اختيار شكل ما يتعلمه ومضمونه ، ماهرًا في البحث عن المعلومات والحقائق من مصادر التعلم والمعرفة بنفسه أو بتوجيه من المتخصصين ، مبادئًا ، واثقًا بنفسه ، مبدعًا ومكتشفًا لحقائق ومبادئ جديدة ، مشاركًا في مشكلات عصره ومعبرًا عنها بفاعلية ، عارفًا لنقاط قوته وضعفه ومُقَوِّمًا لناتج نشاطه . وهذا يعني أن من أهم أهداف تعليم التعبير هو بناء الشخص النشط الواعي المنظم .

---

(١) نادية شريف ، الأنماط الإدراكية المعرفية وعلاقتها بمواقف التعلم الذاتي والتعلم التقليدي ، (مجلة العلوم الاجتماعية) ، السنة التاسعة ، العدد الثالث ، الكويت : سبتمبر ، ١٩٨١ ، ص ٢٧ .

(٢) طلعت منصور ، مرجع سابق ، ص ٢٦-٢٧ ، ٣٦ .

الحاجة إلى التعلم الذاتي وأهميته :

إن التطور الهائل في شتى فروع المعرفة ، ومع تزايد الأعداد المقبلة على التعلم ، وحاجة المجتمع الضرورية إلى وجود أفراد يتفاعلون مع قضايا العصر الراهن ويعبرون عنها في حرية من ذاتيتهم ، بالإضافة إلى تعقد الحياة ومطالبها المتعددة ، فضلاً عن المهارات الأساسية في عملية التعليم التقليدي . لم تعد مطلبًا كافيًا لممارسة الفرد حياته بشكل طبيعي وناجح . وإنما يحتاج إلى مهارات أخرى ، لعل من بينها ، النقد ، والتحليل ، والتركيب ، والمقارنة ، والاعتماد على الذات في البحث عن المعارف والمعلومات والحقائق ، والاستمتاع بالحياة والتفاعل معها ، والقدرة على حل ومعالجة ما يطرأ من مشكلات ، وغير ذلك . ومن هنا أصبح كل هذا يفرض على المتخصصين التربويين إعادة النظر في الأساليب التربوية لتلائم هذا الوضع .

ومن بين هذه الأساليب التي اتجه إليها المتخصصون بالدراسة ما سمي بالتعلم الذاتي . الذي وجد اهتمامًا واسعًا في الآونة الأخيرة ، نظرًا لما يحدثه هذا النوع من التعلم من فعاليات ملموسة ، وتأثيرات قوية في جعل البيئة التعليمية أكثر ملاءمة لطبائع المتعلمين والمعلمين على السواء [١].

لذلك بدأت كثير من دول العالم محاولات عديدة لتحديث نظمها التربوية ، معتمدة على جعل ذاتيات المتعلمين أكثر عطاء وإسهامًا في الحياة ، وتنمية معارفهم وقدراتهم ، واستخدامها عند الحاجة ، حتى يكونوا قادرين على طبع حياتهم بالطابع العلمي الفعال ، والموجه لصالح الفرد والجماعة . مستعيضة في ذلك عن النظم التعليمية المعروفة ، التي – وإن كانت قد أعطت الكثير من الفعالية إلا أنها – لم تعد مناسبة حاليًا ، لتعقد الحياة المتزايدة ومتطلباتها المتغيرة . مما حدابتلك الدول إلى استخدام مناهج وأساليب التعلم الذاتي في نظمها التعليمية المعاصرة [٢] .

وقد أوصت ندوة خبراء في التعلم الذاتي – التي انعقدت في القاهرة عام (١٩٧٧) – بتأصيل جذور التعلم الذاتي في المراحل الدراسية المختلفة ضمانًا للتعلم المستمر مدى الحياة ، بحيث يقل اعتماد المتعلم تدريجيًا على معلمه كمصدر وحيه للمعرفة ، كلما زاد نضجه . وتبني

---

(١) إبراهيم محمد عطا ومحمد صبري حافظ ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٢) محمد شحاتة حسين الخطيب ، التعلم الذاتي بين النظرية والتطبيق – دراسة مقارنة ، (رسالة الخليج العربي) ، العدد العشرون ، ١٩٨٦ ، ص ١١٠ .

هذا النوع من التعلم من منظور يتسق مع مقتضيات الواقع الاجتماعي من ناحية ، والواقع الثقافي من ناحية أخرى . بما يخدم أهداف المجتمع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية [١] .

وشرعت كثير من الدول في مقدمتها إنجلترا في إجراء عدد من التجارب ، تعد رائدة في هذا المجال ، منها تجربة الجامعة المفتوحة بإنجلترا وأسبانيا ، وجامعة الهواء بأمريكا ، وجامعة كل شخص بإسرائيل ، والجامعة المفتوحة في مصر في الوقت الراهن .

وإلى جانب المؤتمرات والندوات والتجارب العلمية ، أجري العديد من البحوث والدراسات في هذا المجال ، وكانت ذات نتائج مرضية ، مما جعل كثيراً من علماء التربية وعلم النفس ، ينادون بضرورة الاهتمام بالتعلم الذاتي كأسلوب للتعلم ، وإكساب المتعلمين كيفية الاعتماد عليه في مراحل تعليمهم . وهو ما دعا إليه مراد Mourad [٢] عندما جعل التعلم الذاتي هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع مشكلات التزايد الكمي في المعرفة الإنسانية .

وما أشار إليه نولز Knowles أن التعلم الذاتي هو أفضل طريقة للنمو المعرفي . وطالب بضرورة أن يكون من بين أهداف أي موقف تعليمي ، لتنمية الاعتماد على الذات في اكتساب المعلومات لدى المتعلم [٣] .

وكذلك ما دعا إليه إبراهيم عطا ومحمد حافظ بضرورة الأخذ بأسلوب التعلم الذاتي في المناهج التعليمية . حيث اعتبرا أنه أفضل وسيلة للتعلم المستمر ، الذي يلازم الإنسان طيلة حياته [٤].

وقد تكرر هذا المطلب لدى حسين الطوبجي عندما دعا إلى ضرورة الأخذ بهذا الأسلوب في بعض المقررات الدراسية ، في المراحل التعليمية المختلفة . لإعداد الأفراد لمتابعة تعليمهم ذاتياً ، حيث يتسم هذا النوع من التعلم بعنصر الضبط للعملية التعليمية [٥] .

هذا ، بالإضافة إلى أنه يراعي مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين ، حيث يسمح بتعلم كل فرد تبعاً لإمكاناته ، وميوله ، واستعداداته ، وسرعته الذاتية [٦] .

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ندوة خبراء في التعلم الذاتي ، القاهرة : أكتوبر ١٩٧٧ ، (تعليم الجماهير) العدد الحادي عشر ، السنة الخامسة ، يناير ١٩٧٨ ، ص ٢٢٨ .

(2) Mourad. S. A. Op. Cit. P. 2.

(3) Knowles. M.S. op. Cit. P. 10-11.

(٤) إبراهيم محمد عطا ومحمد صبري حافظ ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٥) حسين حمدي الطوبجي ، التعلم الذاتي ، مفهومه – مميزاته – خصائصه ، (تكنولوجيا التعليم) ، السنة الأولى، العدد الأول ، الكويت : يوليو ١٩٧٨ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٦)حسن حسيني محمد علي جامع،التعلم الذاتي وعلاقته بتحصيل طلاب دور المعلمين وتغير اتجاهاتهم نحو مهنة التدريس،رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية التربية،جامعة المنصورة:١٩٨٣،ص ٤٤.

مبررات استخدام التعلم الذاتي :

نظرًا لما وقفنا عليه مسبقًا من وجود ضعف شديد لدى الناشئة في تعبيرهم الكتابي ، وعدم مقدرتهم الذاتية على التعبير الجيد السليم ، نتيجة للطريقة التقليدية السائدة حاليًا ، والتي تدور في حلقة مغلقة ، ليس للمتعلم فيها دور سوى أنه متلقٍ ومروض ومقهور لا يعرف فيها حريته ، في حين أن الهيمنة فيها للمعلم ، مما أفقدها عنصر التكامل والفعالية المنشودة . وهو ما لاحظه الكثير من الباحثين ، وأكدته الدراسات السابقة .

إلى جانب حاجة المجتمع الماسة والضرورية إلى وجود أفراد قادرين على تحمل المسئولية والتعبير عنها ، والتفاعل مع قضايا عصرهم الراهن ، والمساهمة في ركب الحضارة الإنسانية بالكلمة الواعية المعبرة عن إنسانية الإنسان الحر .

من هذا المنطلق فإننا نلجأ إلى أسلوب التعلم الذاتي بالدراسة والتجريب ، لنقف على مدى مساهمته في معالجة هذا الضعف التعبيري ، ومدى فعاليته في تنمية القدرة على التعبير الكتابي لدى المتعلمين ، كي يكونوا أفرادًا متفاعلين داخل المجتمع وخارجه . وذلك نظرًا لما أثبتته الدراسات العديدة من فعاليته في التجريب كطريقة للتدريس . وبذلك يكون للتعلم الذاتي مبررات توجب استخدامه في حل المشكلات التعليمية ، وهذه المبررات كالتالي :

١- اعتماد طرق التدريس المتبعة حاليًا في معظم المؤسسات التعليمية ، وكذلك المناهج المقررة على التلقين والاستظهار .

٢- حاجة المجتمع إلى أفراد يعتمدون على ذاتيتهم في مواجهة ومعالجة أي من المشكلات الطارئة .

٣- حاجة الحضارة المعاصرة إلى تعليم متجدد ، ومستمر يلائم ذاتيات الأفراد طوال حياتهم .

٤- تغير المعلومات والحقائق بسرعة مذهلة .

٥- صلاحية التعلم الذاتي لمواجهة مشكلة محو أمية التعبير لدى المتعلمين [١] .

٦- صلاحيته في معالجة الفروق الفردية بين المتعلمين .

٧- يوفر التعلم الذاتي الكثير من وقت وجهد المعلمين في بعض مجالات التعليم .

٨- حاجة المتعلم إلى تحقيق حريته الإنسانية في التعبير .

---

(١) عزيز حنا داوود ، قراءات ودراسات في التربية وعلم النفس ، الجزء الثاني ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت ، ص ٧٤-٧٥ .

٩- توصيات اللجنة الدولية لتطوير التعليم بضرورة تمركز الأنشطة التعليمية حول المتعلم ، من أجل مساعدته على اكتساب مزيد من الحرية ، التي يقرر بها لنفسه ما يريد أن يتعلم ، وكيف وأين يتعلم [١] .

١٠- التصدي - بالمعالجة - "لثقافة صمت المكبوتين" عند المتعلمين داخل الحجرة الدراسية [٢].

أهداف التعلم الذاتي :

يستهدف التعلم الذاتي تحقيق ما يلي :

١- إكساب المتعلم المهارات اللازمة لأن يعايش عصره ، ويتعامل في الحياة بطريقة مقبولة وناجحة .

٢- إقدار المتعلم على جعل التعليم مدى الحياة نمطاً يلازمه ، من غير أن يحتاج إلى تدريب طويل وجديد .

٣- تنمية الاعتماد على الذات ، وتقليل حجم المساعدة من الآخرين وذلك بالتغلب على مشكلاته بنفسه .

٤- تقليل الكلفة الاقتصادية من حيث الجهد والوقت والمال ، ليس على مستوى الفرد فقط ، وإنما على المستوى الجماعي أيضاً .

٥- زيادة العائد العلمي والخبري ، نظراً لأن حل المشكلات التي تواجه الفرد ، إنما تفتح أمامه آفاقاً أبعد ، وخبرات أكثر وأفضل [٣] .

٦- إقدار المتعلم على استخلاص قواعد ومبادئ جديدة من الخبرة ، أي تعلم أنى يتعلم .

٧- التحرر من أسر (ثقافة صمت المكبوتين) .

٨- تنمية الوعي بالذات ، والثقة فيها ، والتقبل الإيجابي لها .

٩- إقدار المتعلم على التعاون مع الآخرين .

١٠- "تربية إرادة التعلم وتوجيه الذات في المتعلم" [٤] .

١١- كسر احتكار المعلم للمعرفة الإنسانية .

---

(1) Freire, P., Pedagogy of the Opprersed, New York, Seabury Press, 1970. P. 59.

(2) Illich, I., "Education without Schools", in Daniel, U. Leving and Robert, J. Havighurst, ed: Farewell to Schools?Worthington, Ohio, Jones, 1971. P. 200.

(٣) إبراهيم محمد عطا ومحمد صبري حافظ ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

(٤) طلعت منصور ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

obeikandl.com

١٢- إقدار المتعلم على استنباط وجمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية ، وتعويده على عملية ارتياد المكتبات .

١٣- إقدار المتعلم على تقويمه لما يتعلمه بنفسه .

الأسس النفسية والتربوية للتعلم الذاتي :

مما سبق يمكن بيان أهم الأسس النفسية والتربوية للتعلم الذاتي فيما يلي :

أولاً - الإرادة والسلوك الإرادي الواعي(*) :

تعد الإرادة في حقيقتها ظاهرة سيكولوجية.. وهي أحد المقومات الأساسية للتعلم الذاتي . "يرى الكثير من علماء النفس أن السمة الأساسية المميزة للإرادة هي ما يتصف به السلوك من وعي ، ولذا تعتبر أي فاعلية يبديها الإنسان - بقدر ما تفترض وعياً بالهدف - سلوكاً إرادياً".(١)

والسلوك الإرادي هو القدرة على خلق مثيرات ، وعلى اتباع هذه المثيرات ومتابعتها ، أي هو القدرة على توفر مثيرات ذات نسق معين ، موجه نحو تنظيم السلوك . هذه الاستثارة الذاتية لمحركات راقية واعية للسلوك داخل الفرد توجه القوى الطبيعية للسلوك وتشحذها وتشذبها (٢).

والشخصية الإرادية في جوهرها ، تقوم على وحدة الشعور بالواجب والهدف . هذا وإن فهم السلوك الإرادي القائم على هذه الوحدة الوظيفية يساعد على تبصر حقيقة التعلم الذاتي كعملية لتأكيد الذات ولدور الشخصية في إقرار مصيرها . ومن أهم ميكانزمات الإرادة والسلوك الإرادي ما يلي : (٣)

١- **حالة الفاعلية الداخلية** : وتبدو في تنشيط الجهد الذاتي ، وفي شحذ طاقات الفرد وتعبئتها في سبيل مغالبة الصعوبات والمعوقات ، سواء أكانت معوقات خارجية تفرضها الظروف المحيطة به ، أم معوقات أو مثبطات داخلية ذاتية كالنزعات السلبية والخوف والوهن

(*) Will and willful & conscious behaviour.

(١) ش. تشخار تشفيلي ، مشكلة الإرادة في علم النفس ، (مجلة علم النفس الروسية) ، العدد الرابع ، ١٩٦٧ ، ص ٧٣ .

(2) A.R. Luria. The nature of human conflicts: An objective study of disorganization and control of human behaviour. New York: Liveright Inc. Pub., 1932, P. 401-403.

(٣) طلعت منصور ، مرجع سابق ، ص ١٠٢-١٠٣ .

obeikandi.com

والتردد والضحالة المعرفية والثقافية وغير ذلك مما يهدر من انطلاقية انبعاث الطاقات الداخلية الهائلة أو ينحرف بها عن مسارها الطبيعي .

لذلك فإن من أبرز المعالم المميزة لسيكولوجية الإرادة هي تعبئة جهود الفرد الواعية الموجهة نحو الهدف ؛ تلك الجهود التي تعمد إلى إخضاع نشاطه الحياتي لإرادته ، وعلى مواجهة الصعاب ومغالبتها . وإذا تمكن الفرد من كيفية الاستخدام والتوجيه الواعيين لهذه الجهود والطاقات ، يكون في مقدوره توظيفها في سبيل نمو وارتقاء شخصيته ، فهو يعول عليها كركيزة للتعلم الذاتي .

٢- **توجيه الأوامر إلى الذات :** من الخصائص الجوهرية المميزة للنشاط النفسي والعصبي الإنسانيين أنه نشاط توسيطي ، يتم من خلال استخدام الكلمات والرموز والإشارات والمعاني المختلفة . لذا يعتبر (النظام الإشاري الثاني عند بافلوف) ليس هو جوهر عمل النشاط النفسي فحسب ، ولكن أيضاً النشاط العصبي الراقي . حيث تقوم الكلمة - كوحدة هذا النظام - بالعمل كوسيط بين ا لفرد والوسط المحيط به ، استناداً إلى ما تحققه من وظيفتي الاتصال الاجتماعي والتجريد العقلي . كما تعمل الكلمة كعامل لإدارة الجهاز العصبي المركزي .

وقد أوضحت بعض الدراسات ارتباط الجهد الإرادي الفعال بعمل النظام الإشاري الثاني . هذا الجهد يمكن استثارته وتحريكه وتوجيهه بواسطة الكلمات والرموز والمعاني . لذا يطلق (أجافونوف) على الشكل الأساسي للدفع الإشاري الثاني مصطلح (توجيه الأوامر إلى الذاتSelf-ordering) . ومن شأن الأمر الذاتي أنه يسمح للفرد بأن يحقق أهدافه ، وبرامجه التي يلتزم بها وينجز خططه ، وينظم سلوكه [١] .

٣- **مقاومة الغواية والإغراء :** من الدلالات البارزة للإرادة - ولقوة الضبط الذاتي والتوجيه الذاتي الواعيين - القدرة الداخلية للفرد على العزوف عن الاستجابة للمؤثرات الخارجية التي قد تغويه أو تغريه لكي يأتي بسلوك لا تقره المرغوبية الاجتماعية ولا يقره ضميره وذاته الخلقي المعنوي ، رغم عدم افتضاح أمره أو انكشاف فعلته .

كما تعني (مقاومة الغواية والإغراء) قدرة الفرد على مغالبة المؤثرات والإلحاحات الداخلية التي قد توعز إليها (نفس أمارة بالسوء) ، وحتى على طرد الأفكار والهواجس التي تراوده بشأن فعل أو إجراء أو اتجاه أو شعور لا تقره الأخلاقيات والمعنويات السائدة ، ولا

---

(١) ت أجافونوف ، في سيكولوجية توجيه الأوامر إلى الذات ، (مجلة علم النفس الروسية) ، كراسنادر : ١٩٥٩ ، ص ٦٥ .

يأباه ضميره الحي الواعي . هكذا يكون تعلم مقاومة الغواية والإغراء أحد الجوانب اللازمة لنمو الفرد الذاتي .

٤- **الاقتناع الذاتي** : بنمو التعلم الذاتي يبدأ الفرد في استخدام (توجيه الأوامر إلى الذات) بهدف تصحيح نواحي القصور والضعف فيه وإنماء الخصال والجوانب الإيجابية لديه . لكن فاعلية (توجيه الأوامر إلى الذات) و (القدرة على مقاومة الغواية والإغراء) قد قلا ونقصا بسبب عدم ثبات معتقدات الفرد ، وهو ما يبدو واضحًا خاصة في مرحلة المراهقة .

فغياب الاعتقاد الراسخ في ضرورة تحقيق برنامج التعلم الذاتي يؤدي إلى تبدد الأوامر الموجهة إلى الذات الإنسانية فلا تتحقق بصفة عامة أو تتحقق لفترة ضئيلة للغاية .

ومن ثم تبدو أهمية الاقتناع الذاتي - كأحد المقومات والمكونات الأساسية للنشاط الإرادي- في دوره الهائل والفعال في تعبئة القوى الإرادية ، حينما يعطى الفرد لنفسه بواعث جديدة تدعم وتوسع وتعمق دوافع إنجاز برنامج التعلم الذاتي .

هذا ويعد دور كل من الاقتناع الذاتي ، وتوجيه الأوامر إلى الذات في التعلم الذاتي متكاملاً ويرتبط أحدهما بالآخر . فيكون توجيه الأوامر إلى الذات أكثر فاعلية إذا كان يتدعم بالاقتناع الذاتي هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤدي الاقتناع الذاتي إلى إنجاز العمل الإرادي إذا كان يستند إلى قرار، أي إلى توجيه أوامر إلى الذات .

ثانيًا - استثارة النضج : Maturity Catalysis

وهو أساس علمي مهم في التعليم بصفة عامة وفي التعلم الذاتي بصفة خاصة . ويعتمد هذا الأساس على عاملين رئيسيين هما : (١)

١- **الرغبة في التوافق** : حيث يتحتم على الفرد أن يتجاوب سعيًا وراء التوافق الاجتماعي والنفسي مع الآخرين ، بغية تحسين المركز الاجتماعي له ، وذلك بدفعه نحو التعلم الذاتي لأنه أكثر إتاحة له من التعليم النظامي القائم على النمطية التقليدية السائدة في طرائقه القليلة الفعالية . بينما يجد الفرد متنفسًا في التعلم الذاتي وتجاوبًا معه ، من خلال أدواته ووسائله وبرامجه ، نظرًا لطبيعته المميزة كطريقة للتدريس الفعال .

٢- **حرية الاختيار** : يتيح هذا العامل للمتعلم (الفرد) حرية اختيار نوعية ما يريد أن يتعلمه ، وبالتالي تحكم اختياراته مبدأ النفسية ومبدأ اقتصاديات الجهد ، حيث يتم الاختيار في ضوئهما من جانب الراغب في التعلم الذاتي .

---

(١) عزيز حنا داوود ، قراءات ودراسات في التربية وعلم النفس ، الجزء الثاني ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

ثالثاً – الدافعية Motivation :

من أهم الأسس السيكولوجية التي يعتمد عليها التعلم الذاتي هو وجود الدافع لدى الفـــرد ، الذي يدفعه نحو التعلم ونحو الاعتماد على النفس في تعليم نفسه ، مستخدماً الوسائل المتعددة في ذلك ، سواء أكانت المكتبات أم الصحافة أم البث الإذاعي والتليفزيوني أم غير ذلك مما يكســـبه التفرد في التعلم .

وتعتمد الدافعية على إشباع حاجات نفسية واجتماعية لدى الفرد ، ومنها :

تأكيد الذات ، والتقدير ، والاحترام ، ثم تحقيق الذات Self-actualization وحتى تشبع هذه الحاجات النفسية فإن المصدر الرئيسي لهذا الإشباع يكمن في التعلم الذاتي ، حيث إنه يعتمد على التعزيز الذي هو من أبعاد زيادة الدافعية . وقد ثبت في التعلم الذاتي أن التعزيز الموجـــب خصوصاً الفوري منه يثبت الاستجابة المعطاة من جانب الفرد ، والتعزيز الفوري يكاد يقتصـــر توفره على التعلم الذاتي .

وإذا كانت الحاجة إلى استمرارية تحقيق الذات تمثل المستوى الأسمى لنظـــام الحاجـــات النفسية ، تعد دافعية (الإنجاز والجدارة) خاصة أبرز محركات ومنظمات ، وأهـــم منشـــطات وموجهات التعلم الذاتي الذي به تتحقق هذه الحاجة . فيقرر (هيلجارد ورسل ١٩٥٠) أن "طبيعة الدافعية تحدد ما إذا كان الفرد سوف ينمو في اتجاه تحقيق المزيد من النضج النفسي أو مـــا إذا كان سوف يجمد على دفاعاته العصابية ؛ فهي تحدد ما إذا كان سوف يتعلم وما الـــذي ســـوف يتعلمه" (١) .

رابعاً – مبدأ الفروق الفردية : Principle of individual differences

عرفنا مسبقاً أن الفرد له ذاتيته وإرادته الذي يتفاوت فيهما عن غيره من بني جنسه ، لـــذا يتعذر على التعليم النمطي السائد مواجهة قضية الفروق الفردية بيـــن المتعلميـــن ، وذلـــك لأن المناهج المقررة والكتب والأنشطة المصاحبة بالإضافة إلى الطرائق المستخدمة في عملية التعلـم لم تراع ذاتية المتعلم ، وقدراته ، وإمكاناته ، واستعداداته الخاصة . ومن هنا يتم إغفال الأســوع والأبطأ من المتعلمين . والتعلم الذاتي يعالج هذه القضية حيث يسمح للمتعلم – في أســلبيه – أن يتعلم وفقاً لقدراته وإمكاناته وحاجاته وسرعته الخاصة دون أن يثبطها . ومن ثم كانت الفـــروق

---

(١) طلعت منصور ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

الفردية أساسًا جوهرياً في اعتماد التعلم الذاتي عليها في تكوين برامجه الفردية التي تتلاءم وطبيعة المتعلمين [١] .

خامسًا - النشاط المعرفي وتقنينه : Cognitive domain and Coding

المعرفة ضرورة بالنسبة لكل أنماط التعلم ، فهي "غالباً ما تعتبر أساسًا حتمياً لكل الأهداف أو الغايات التربوية الأخرى . فالتفكير المنتج لا يأتي من فراغ ولا يتحقق في فراغ ، وإنما ينبغي أن يقوم على المعرفة ببعض الحقائق" [٢] لذا تعد المعرفة حتمية التعلم للمتعلم . وبناء على عملية التعلم هذه يسعى المتعلم إلى البحث عن المعلومات Information seeking وربطها بحاجاته ومعرفته السابقة .

ومن وجهة النظر المعرفية هذه يكون للمعلومات والحقائق (معنى) حينما تحدد فئاتها Categorizing أو تخضع للتقنين Coding أي للتنظيم . ومن هنا تتحدد شروط فاعلية التعلم - وفقًا لذلك - بالمتعلم نفسه وبتفاعله مع بيئته وبالطرق التي تقدم بها المعلومات الجديدة لمساعدته على إدراك العلاقات المفيدة . ويشجع المتعلم على التفكير فيما يتعلمه والتعبير عنه ، وعلى السعي إلى تنظيمه وإلى ربط المادة الجديدة بما يعرفه بالفعل .

هكذا تنمية تعلم المعلومات ينطوي على حسن تنظيم النشاط المعرفي لدى المتعلمين ، وعلى اضطراد نشاط البحث والتنقيب عن المعلومات والحقائق ، وعلى الإمكانية الاستقلالية فى التمكن منها واستيعابها وتوظيفها . ومن هنا اعتمد التعلم الذاتي على النشاط المعرفي المقنن في تنظيم معلوماته البرنامجية [٣] .

سادسًا - الإصلاح الاجتماعي Social Reform :

لقد هاجم كل من (إليتش وفرير Illich & Freire) الأنماط التقليدية للتربية من زاويتين مختلفتين ، إلا أن كلاً منهما قد هدف إلى الاهتمام بقيمة الإنسان وكرامته وتحريره من مجتمع الاستغلال والظلم . ففي حين يتخذ إليتش موقفًا ناقدًا من المعلم التقليدي والنظام التعليمي الجامد،

---

(١) أنور محمد الشرقاوي ، التعلم نظريات وتطبيقات ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٨ ، ص ١١٢ .

(2) B.S. Bloom. Et al. ATaxonomy of EducationalObjectives: Handbook 1. The cognitive domain. New York: Longmans, Green. 1956. P. 33.

(٣) طلعت منصور ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٦ .

يذهب فرير إلى الهجوم على هيكل النظام من وجهة نظر سياسية ، أي وجهة نظر المجتمع المستغل والفرد المقهور [١] .

فيدعو إليتش إلى ثورة ثقافية ، حيث يرى أن المشكلة تكمن في ذلك الوسط التعليمي المتسم بالجمود وعدم الابتكار والفعالية ، والاهتمام المبالغ فيه بالشهادات والانتقال من صف إلى آخر ، على حساب الكفاءة والطلاقة والابتكار . كما يرى أن الابتكار هو سمة للنمو الحر ، والمجتمع الواضح المتقدم .

ويرى إليتش أن معالجة هذه المشكلة تكمن في "تعكيس النظام التعليمي التقليدي" ، بحيث يكون في مقدور المتعلم أن ينشئ علاقات جيدة في الوسط التعليمي ، ويختار شكل ومضمون ما يريد أن يتعلمه في حرية . وبالتالي سيؤدي هذا الأسلوب إلى كسر احتكار المعلمين لوظيفة الموزع الثانوي الوحيد للتربية ، والخازن الوحيد للمعرفة ، والمكتشف الوحيد للأسرار .

أما فرير فالتعليم من وجهة نظره يجب أن يكون قوة ثورية . من خلاله يصل المتعلمون إلى الوعي بذاتيتهم ، وإلى النظر الناقد لنظامهم الاجتماعي ، وذلك من أجل اتخاذ الخطوات اللازمة لتغييره . كما أنه يجب أن يهدف إلى تحرير الذات الإنسانية ، وإلى النظر إلى المتعلمين على أنهم أفراد متفاعلون ومؤثرون ، لا على أنهم أهداف سلبية . كما أنه يجب أن يقود إلى كشف العوامل التي تؤدي إلى وجود فئة من الناس تملك جاهاً وسلطة قاهرة ، وأخرى محتاجة معتمدة مغلوبة ومقهورة .

فبدلاً من أسلوب التأنيس والترويض – القائم على تحويل المعلومات من أدمغة المعلمين وإيداعها أدمغة المتعلمين – كالنظام المصرفي – والعلاقات المعتمدة على التسلط ، يجب أن تقدم المدرسة فرصاً للتحليل الواعي الناقد للبيئة التي يعيش فيها المتعلمون ، وذلك لتعميق إدراكهم الشخصي لهذه البيئة ، وبناء عنصر الثقة في قدراتهم الابتكارية ومقدرتهم على النشاط الواعي الفعال . وبذلك يصبح التعليم – على هذا النحو – مُقومًا من مقومات عملية كبيرة تقتضي تكوين المفاهيم والقيم وتطوير العقول وتؤدي في النهاية إلى نتائج إيجابية سياسية واجتماعية واقتصادية طيبة[٢] وكان لدعوة كل من إليتش وفرير الإصلاحية للتربية داخل المجتمع أنها أصبحت ركيزة يعتمد عليها أسلوب التعلم الذاتي في بناء مضمونه ومكوناته ، وفي تحقيق أهدافه .

---

(١) ليرا سرينيفاسن ، التعليم غير النظامي للكبار ، ترجمة : محمد عزت عبد الموجود وعلي أحمد مدكور وصلاح أحمد مراد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٤ ، ص٢٠ .

(٢) علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

خطوات التعلم الذاتي في تدريس التعبير الكتابي :

مما سبق يمكن القول إن منهجية تحقيق الذات المستعينة بالتعلم الذاتي في تدريس التعبير يمكن أن تسير - كما اقترح علي مدكور - على النحو التالي : [١]

١- مرحلة تحديد الموضوعات :

يطلب المعلم من الطلاب أن يحددوا الموضوعات التي يريدون التحدث عنها ثم الكتابة فيها . ثم يقوم بتسجيل الموضوعات المقترحة على السبورة . وهكذا إلى أن يصل إلى عدد من الموضوعات تمثل جميع الاتجاهات والاهتمامات الموجودة لدى جماعات الطلاب في الفصل ، ويقوم كل طالب بتسجيل هذه الموضوعات لديه في كراسته ليختار من بينها الموضوع الذي يناسبه ويود التعبير عنه . كل هذا في جو من الحرية .

٢- مرحلة البحث عن المعارف والحقائق :

بعد ذلك ينتقل الطلاب مع المعلم إلى المكتبة لقضاء بقية الحصة ، وربما حصة التعبير القادمة أيضاً ، حيث يقرأ كل طالب عن موضوعه الذي اختاره والذي قرر هو التحدث فيه ، ثم الكتابة عنه ، وذلك تحت إشراف المعلم الذي يقوم بتوجيه من يحتاج من الطلاب إلى مصادر المعرفة سواء كانت كتباً أو صحفاً أو مجلات أو غير ذلك ، تعرضت للموضوع الذي اختاره الطالب . وربما كانت مراجع بعض الموضوعات هي كتب المناهج الأخرى المقررة عليهم ، ومن هنا يحدث التكامل الوظيفي الترابطي مع المناهج المقررة الأخرى .

ولا بأس من إرشاد الطلاب إلى الاستماع إلى برنامج إذاعي يتحدث عن موضوع ما من الموضوعات المطروقة ، أو مشاهدة برنامج متلفز ، أو الاستماع إلى شريط مسجل . وربما تم عقد ندوة أو مناقشة حول موضوع من الموضوعات المطروحة . وبعد أن يجمع كل طالب المعلومات والحقائق المرتبطة بموضوعه الذي اختاره يبدأ في كتابة المسودة الأولى له .

٣- مرحلة المناقشة (التعبير الشفوي) :

في هذه ا لمرحلة - التي قد توافق حصة التعبير الثالثة - يناقش الطلاب مع بعضهم البعض المعلومات والحقائق التي جمعوها وكتبوها في المسودات ، حيث يأتي الطلاب وقد كتب كل منهم المسودة الأولى للموضوع الذي اختاره . وهنا يختار المعلم بعض الطلاب بحيث يكون كل طالب ممثلاً لموضوع من الموضوعات المطروحة . ويقرأ الطالب المختار الموضوع الذي كتبه أمام زملائه الذين يقومون بمناقشته فيما كتب ، بحيث تهدف المناقشة إلى إبراز جوانب

---

(١) علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٧١-٢٧٣ .

القوة والضعف في "مشروع" الموضوع الذي أعده الطالب . وبذلك يتضح الأمر ، وتتجلى الرؤى لزملائه الذين يشاركونه في هذا الموضوع .

ودور المعلم في هذه المرحلة هو دور المنظم الذي يوزع النقاش ويعمقه ، لا بتدخله المباشر بالرأي فيه ، وإنما بتساؤلاته المثيرة والمفتوحة ، حتى يتمكن كل طالب من التعبير عن آرائه الذاتية ، وإبراز كينونة إرادته .

٤- مرحلة المراجعة وكتابة الموضوع في صورته النهائية :

في هذه المرحلة يبدأ كل طالب بمراجعة مسودته الأولى - الخاصة بموضوعه المختار - وفقاً لما وقف عليه من آراء جديدة تجلت من خلال مناقشة زملائه له في موضوعه . وهذه المراجعة نوعان : مراجعة داخلية ، يقوم الطالب فيها بمراجعة الفكرة العامة لموضوعه ، وما يندرج تحتها من أفكار جزئية ، من حيث مدى ترابطها وانسجامها فيما بينها وتأديتها في تحقيق مضمون الفكرة العامة ، هذا شيء.والشيء الثاني مراجعة مدى تماسك ، والتزام أجزاء الموضوع فى (مقدمته - وموضوعه - وخاتمته) على النحو المراد كالجسد الواحد المتكامل الأعضاء ، أم لا .

أما المراجعة الثانية فهي مراجعة خارجية ، يقوم الطالب فيها بتصحيح كتاباته إملائياً ، ونحوياً ، وصرفياً ، وخطياً مع التحقق من مدى صحة استخدامه لعلامات الترقيم في مواضعها المختلفة ، والتأكد من مدى تنسيق موضوعه في جمل وفقرات متكاملة المعنى والدلالة بصورة منظمة ومنطقية ، أم لا .

ومن هنا تبدو أهمية مراجعة الطالب للموضوع قبل كتابته في صورته النهائية ، فالمراجعة تحول مادة الكتابة الخام إلى منتج نهائي مقبول . لذلك يرى الكثير من الكتاب أن الكتابة هي المراجعة،أو بمعنى آخر المراجعة هي جوهر الكتابة الدقيقة الواضحة الجودة[1]. وبعد أن ينتهي كل طالب من عملية المراجعة ، يقوم الطلاب بكتابة الموضوعات في صورتها النهائية ، مع اعتبار الملاحظات والنقاط التي ثارت أثناء المناقشة في حصة التعبير الشفوي . ثم يعطونها للمعلم .

٥- مرحلة التقويم :

يقوم المعلم بعد ذلك بتقويم الموضوعات ؛ وفقاً لمجموعة من المعايير التي ينبغى أن يتفق المعلم مع الطلاب عليها قبل الكتابة ، وبحيث تكون مناسبة لنوعية الموضوعات المقترحة ، ولأهداف تعليم التعبير الكتابي عموماً . فمثلاً أن يكون للموضوع مقدمة وعرض وخاتمة ، وأن

---

(1) Gere. Op. Cit. P. 260.

يكون تلخيص القصة وافياً وموجزاً دون إطالة ، وأن يتحرى الدقة الواضحة في ملء الاستمارات ، وأن يكون ذلك بأسلوب الطالب نفسه من باب الاعتماد على الذات . وسيتم إيراد المعايير بصورة مجملة في غير هذا الموضع .

٦- مرحلة المتابعة :

في هذه المرحلة يقوم المعلم بتسجيل مجموعة من الأخطاء الهجائية والنحوية والأسلوبية والفكرية الشائعة في تعبير الطلاب ، ثم يقوم بمعالجتها معهم في اللقاءات القادمة ويمكن استغلال وتوظيف دروس القراءة والأدب والنحو في معالجة هذه الأخطاء .

وفي ضوء ما سبق من خطوات يمكن فيما يلي عقد مقارنة توضيحية لبيان الفرق بين الطريقة التقليدية ، وأسلوب التعلم الذاتي في تدريس التعبير الكتابي على هذا النحو :

مقارنة بين الطريقة التقليدية وأسلوب التعلم الذاتي في تدريس التعبير الكتابي :[١]

من حيث	الطريقة التقليدية	أسلوب التعلم الذاتي
المعلم	المعلم في هذه الطريقة هو محور العملية التعليمية ، حيث يقوم باختيار موضوع أو موضوعين ليقدمهما للمتعلمين . ويحدد لكل موضوع مجموعة من العناصر . ثم يتحدث عن هذه العناصر بمفرده أو يطلب من بعض المتعلمين أحياناً التحدث فيها . ثم يطلب منهم الكتابة عنها وبعد ذلك يجمع الكراسات لتصحيح ما تيسر له منها.	أما المعلم هنا مستمع أو قارئ أو مساعد محرر . والمتعلمون هم محور العملية التعليمية ، الذين يقومون باختيار الموضوعات التي يريدون التحدث فيها ، ثم الكتابة عنها . والمعلم ما هو إلا منظم للمناقشة وموجه لها . وهو موزع الأدوار لهم في التعبير الشفوي ، ويلقي بعض الأسئلة المفتوحة التي تثير حواراً ونقاشاً وتنشط أذهانهم ، وهو مُقوّم لما يقال ويقرأ ويكتب وفق المعايير التي توصل إليها المتعلمون معه .
المادة	المادة في هذه الطريقة ليست سوى الموضوعات التي يفرضها المعلم على المتعلمين بقوة وقهر . ثم التحدث عنها أمامهم . أو تحدث بعض المتعلمين عنها ، ثم يقومون بكتابتها . وهذه الموضوعات التي	أما المادة هنا عبارة عن موضوعات كثيرة ومتنوعة ، فهي رسائل ، وقصص ، وتقارير ، وتلخيصات ، ومذكرات ، وأفكار ومواقف ، ومشكلات ، وكلها من اختيار المتعلمين . وهي تجمع من مصادر التعلم عن طريق المتعلمين

---

(١) اعتمد الباحث في هذه المقارنة على ما كتبه : علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

obeikandl.com

من حيث	الطريقة التقليدية	أسلوب التعلم الذاتى
	يفرضها عليهم نادراً ما تمثل حياتهم أو اهتماماتهم أو ميولهم ، فهي يغلب عليها طابع التقليد البعيد عن مواكبة متغيرات العصر الراهن .	بتوجيه وإرشاد من المعلم . فالمتعلمون بعد اختيارهم للموضوعات يقرأون عنها ويفكرون فيها ثم يناقشون مع بعضهم ما توصلوا إليه من معلومات وأفكار ويُقوِّمون كل ذلك تحت إشراف المعلم . وتأتى الكتابة في نهاية المطاف ، ثم يأتى دور المعلم ليُقوِّم ما كتبه المتعلمون وفقاً للمعايير التي توصلوا إليها معاً ، وبعد التقويم تأتي المتابعة لمعالجة وتلاشي الأخطاء الشائعة .
المتعلمون	المتعلمون في هذه الطريقة معتمدون متواكلون مقهورون ينتظرون ما يقوله المعلم. وهم يمتصون منه الأفكار والمعلومات كما يمتص (الأسفنج) الماء ، ثم يعيدون تكرارها في محادثاتهم الشفوية ، وفي كتابتهم ، كأنهم مقلدون ومحاكون .	أما المتعلمون هنا إيجابيون متفاعلون أحرار نشيطون فهم الذين يختارون الموضوعات أو المشكلات التي يريدون التعبير عنها بأنفسهم ، والتي تمس حياتهم واهتماماتهم وميولهم ، ثم يفكرون فيها ويقرأون حولها ويناقشون معلوماتها وأفكارها ، مستخدمين فيها الأفكار الجديدة وخبراتهم الخاصة في الحياة في ابتكار قصص ، وكتابة رسائل ، وتقارير ومذكرات . وهم يطرحون مشكلات ويبحثون عن الأسباب التي أدت إليها والنتائج المترتبة عليها ، ويضعون الحلول والحلول البديلة ويقررون العمل الواجب اللازم نحوها . وهم في ذلك كله يمارسون ويطوعون ما تعلموه في فروع اللغة الأخرى من نحو وصرف وأدب وقراءة وبلاغة ، وغير ذلك .

خاتمة :

لقد أصبح التعلم الذاتي حاجة ملحة ، لأنه يتلاءم مع طبيعة المتعلم الفردية، ويعمل على كشف وتوظيف سمات المتعلم ذاتياً ، ومن هنا ينبغي على المسؤولين إدراك أهمية أسلوب التعلم الذاتي والعمل على الاستفادة منه .

obeikandl.com